خواطر فى كتاب الله

تربيـــة الدعاة

للاستاذ محمد عبد الله السمان

إن المهمة الملقاة على كواهل الدعاة شاقة خطيرة ، ولذا كانت عناية القرآن بتربيتهم عناية كبرى تضيء الطريق أمامهم إلى قلوب الناس ، والرسل جميعا ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ هم المثل الكامل للدعاة ، وتعتبر تربيتهم أنموذجا للتربية الرفيعة السامية ، لا سيما وأن مربيهم هو الحكيم الخبير .

ولما كان الداعية فى حاجة إلى أسلوب سهل ممتزج باللباقة والسياسة فى عرض دعوته ، فقد راح القرآن يربى الدعاة تربية سياسية دبلوماسية رفيعة تعينهم كثيرا على نجاح دعواتهم : ـــ

« لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ، مالكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأ من قومه ، إنا لنراك فى ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ؟ »

« وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا تتقون ؟ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين ، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ؟ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » .

« قل يأيها الناس : إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات الأرض ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

وتلمس الدعوة إلى المرونة بارزة واضحة فى أساليب الآيات القرآنية مما دل على اهتمام القرآن بهذا النوع من التربية الذى يتوقف عليه نجاح الدعاة فى كثير من الأحايين :

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ـ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ـ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار . إنه لا يفلح الظالمون ـ وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ـ فإن تولوا فقل أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ، إن ربى على كل شىء حفيظ ـ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ـ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » .

وللنطق أهميته الكبرى فى مناقشة الدعوات ، ولذلك نراه متجليا فى أساليب الدعاة :

لم يفد شيئا — فى الناحية الأدبية ، إن لم يكن قد أضر به ذوق أستاذه الذى ليس هنالك فى الميدان الأدبى .

وإذا كان كشاجم قد تأثر بهؤلاء الذين ذكرنا ، فقد وجد بعض من تأثر به ، ولا سيما السرى الرفاء ، الذى يقول فيه ابن خلكان : « وكان السرى مغرى بنسخ ديوان كشاجم الشاعر المشهور وهو إذ ذاك ريحانة الأدب ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب . . » وقد بلغ من إعجابه به وتعصبه له ، وكراهته للمحالدين المعاصرين له أنه « كان يدس فيما كتبه من شعره أحسن شعر المحالدين ليزيد فى حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلى شعره... » (١)

١ — ابن خلكان : وفيات الأعيان طبعة سنة ١٨٣٣ ١ ـ ٢٨٥

عبد الجواد الطيب

« ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتيه الله الملك ، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر » .

« قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ، قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق ؟ قل الله يهدى للحق ، أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى ؟ فما لكم كيف تحكمون . »

« يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

« قال فمن ربكما يا موسى ؟ قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم » .

ويوجه القرآن الكريم الدعاة إلى التدرع بالصبر والاحتمال فى سبيل دعواتهم : « فانتظروا إنى معكم من المنتظرين — فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين — قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا — فاصبر إن وعد الله حق — فاصبر على ما يقولون . فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » .

ويطبع القرآن الدعاة بطابع الشجاعة فهى من أهم مقومات الدعوات ، ولأنها مما لا يستغنى عنها داعية يريد أن يشق طريق النجاح لدعوته :

« واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله ، فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون » « قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ، وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال : إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ، إنى توكلت على الله ربى وربكم » .

« إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ — قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين »

« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر »

ويكافح القرآن الغرور فى الدعاة . فهم لم يزيدوا عن كونهم بشراً ألقى الله على عواتقهم مهمات ثقالا ، وبهذا تكون دعواتهم أقرب إلى قلوب الناس وأبعد من نفورهم .

« ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك »

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

ويكافح القرآن فى الدعاة مرض اليأس الخطير حتى لا يلحق همهم الضعف ، ويصيب جهودهم الفشل ، وتمنى دعواتهم بالخيبة :

« وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » .

« وإذ قال موسى لقومه . إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد »

« وإن كان كبر عليك إعراضهم ، فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين »

البحث بقية

محمد عبد الله السمان
مدرس بعلم الدين الابتدائية للبنات
بالسيدة زينب